جريمة قتل .. بغير جثة !!

محاكمة « جيمس كامب »

عندما ووجه المتهم بأقوال زملائه .. هز كتفيه وقال :

— حسناً .. اذن فما علىّ إلا أن أقدم تقريراً بالحادث .

وكتب تقريراً وقعه بامضائه ، جاء فيه : انه اعتاد أن يحمل للفتاة المختفية ليلا بعض المشروبات . . وأنه قصد فى ليلة الحادث اليها بمقصورتها كطلبها . . فتبين أنها كانت تريده لغرض جنسى خاص .. وبينما كان يباشره .. اذ بها تصاب فجأة بتشنج عصبي وباغماء مفاجىء . . وبعد قليل تبين له أنها فارقت الحياة .. فحار فى أمر نفسه ولم يدر كيف يتصرف ، وخشى أن يفتضح أمره فيفقد عمله . . فتصرف فى أنانية ، اذ فتح نافذة المقصورة ودفع بالفتاة الى المحيط بعدأن كانت قدأضحت جثة هامدة.

فهل هذا الاعتراف صحيح ؟ !

obeikandi.com

كانت محاكمة « جيمس كامب » التى تمت فى عام ١٩٤٨ أهم المحاكمات التى أثارت الرأى العام — لا فى انجلترا وحدها — بل فى مختلف أنحاء العالم فى السنوات الخمس الأخيرة بلا جدال . . وقد كان العالم ، ولا يزال ، منقسما بشأنها إلى قسمين كبيرين : يدين أحدهما ببراءة المتهم « كامب » ، بينما يرى الآخر العكس على خط مستقيم . . وسيان كان هذا القسم أو ذاك على حق . . فإن الحقيقة نفسها لا تزال عند علام الغيوب . . إذ أنه حتى هذه اللحظة لم يعثر على جسم الجريمة — جثة الفتاة الجميلة التى قيل أن المتهم قتلها — بل لن يعثر عليها أبداً . . كما أن « كامب » أصر منذ اللحظة الأولى لاتهامه على إنكار تهمته . . ولا يزال يصر على هذا الإنكار إلى الآن . . وكان من حسن حظه — الذى استغله أنصاره لمصلحته — أن حكم الإعدام الذى صدر ضده لم ينفذ عليه . . ولن ينفذ . . وإن كان ذلك بسبب خارج عن كل إرادة . . كما سيجىء بعد ! .

وعند ما انتهى دفاع « جيمس كامب » أمام القاضى « هلبرى » فى أواخر شهر مارس عام ١٩٤٨ ، وبدأ هذا القاضى فى تلخيص القضية قبل أن يطلب من المحلفين الانتقال إلى قاعتهم للنظر فيما إذا كان المتهم مذنباً أو بريئاً . . كانت الأغلبية من متتبعى هذه المحاكمة تعتقد بأن براءة « كامب » قريبة . . ولكن هذا الاعتقاد تغير بعد الساعتين والنصف اللتين ظل القاضى فى أثنائهما يلخص القضية . .

ظروفها ووقائعها ، وما تم فى المحاكمة من إجراءات .. حتى قيل أن هذا التلخيص هو الذى أدى بالمتهم إلى المشنقة !.

ولقد انصرف المحلفون إلى قاعتهم بعد الاستماع فى اهتمام إلى ما قاله القاضى « هلبرى » فى هذه المدة الطويلة .. وظلوا فى مداولتهم حوالى الخمسين دقيقة ، عادوا بعدها إلى قاعة الجلسة ليعلن رئيسهم بأنهم يرون المتهم « مذنباً » !

أخذ وجه « كامب » يشحب رويداً رويداً على أثر النطق بالحكم ، ولكنه ظل فى مكانه دون حركة . وبعد أن قال كاتب الجلسة له :

ـــ أيها السجين فى قفص الاتهام .. لقد حوكمت وثبتت إدانتك بتهمة القتل .. فهل لديك ما تقوله قبل أن يصدر عليك الحكم بالإعدام .. ولماذا ترى أنه لا يجب أن تموت عملا بحكم القانون ؟ !

فتقدم المتهم إلى مكان القاضى .. وأجاب :

ـــ سيدى .. عند ما سئلت فى أول المحاكمة عما إذا كنت بريئاً أم مديناً ، أجبت بأنى برىء .. وأنا أكرر الآن هذه الإجابة .. وهذا هو كل مالدىّ ..

ولم يبق بعد ذلك إلا أن ينطق القاضى بالألفاظ التقليدية التى يرسل بعدها المتهم إلى السجن فى انتظار وضع الحبل حول رقبته .. ولقد نطق القاضى بها فى حزم وقوة .. وهو يحدج المتهم بنظرات نافذة ..

عين يوم ١٣ أبريل سنة ١٩٤٨ لتنفيذ حكم الإعدام على « جيمس كامب » . . ولكنه رفع استئنافاً أمام المحكمة الجنائية العليا . . حدد له يوم ٢٦ أبريل . . وهكذا أجل تنفيذ الحكم لحين الفصل فى هذا الاستئناف .

وفى الوقت نفسه ألفت جماعات عديدة للدفاع عن « كامب » دفاعاً أخيراً . . من مختلف طبقات الأهالى فى جميع أنحاء انجلترا . . بل خارج انجلترا ، وعلى الأخص من طبقة البحارة وعمال السفن إذ كان المتهم من بينهم . . واتحدت هذه الجماعات تحت اسم « جماعة التظلم من إعدام كامب » وأرسلت برقيات ورسائل وتظلمات عديدة موقع عليها من الألوف المؤلفة إلى وزير الداخلية طالبة استعمال حقه فى استبدال حكم الإعدام بحكم آخر حتى تنجلى الحقيقة فى الحادث الذى أدى إلى اتهام « كامب » .

ولكن « كامب » لم ينج من الإعدام لهذا السبب . . بل إن سبباً آخر هو الذى دعا إلى ذلك . . لا دخل للتهم أو لأنصاره العديدين فيه على الإطلاق . . إذ كان مجلس العموم البريطانى ينظر ، فى أثناء نظر استئناف « كامب » ، فى مشروع قانون قدم إليه يقضى بعدم الالتجاء إلى عقوبة الإعدام لمدة خمس سنوات على سبيل التجربة . . وقد أقر مجلس العموم هذا المشروع . . ولم يكن مجلس اللوردات قد أقره عندما

صدر حكم الاستئناف قاضياً بتأييد حكم الإعدام . . ولكن السلطات المسئولة أفتت بأنه لا يجوز تنفيذ هذا الحكم ولو لم يصبح المشروع الخاص بإلغاء عقوبة الإعدام على سبيل التجربة نافذاً . . معتبرة أن فى أجازة مجلس العموم له الكفاية للعمل بأحكامه .

وهكذا نجا « چيمس كامب » من أن يلتف حبل المشنقة حول عنقه ، هو وزميل آخر له كان قد صدر الحكم بإعدامه ولم ينفذ الحكم فيه بعد . . ولكنهما ظلا على ذلك فى السجن لتنفيذ عقوبة السجن المؤبد التى كانت فى انتظارهما بعد أن أفلتا من الإعدام .

فما هى قصة « چيمس كامب » هذا ، وما هى قضيته ؟ .

فى السابع عشر من شهر أكتوبر ١٩٤٧ غادرت الباخرة « دربان كاسل » مدينة « الكاب » بجنوب أفريقيا قاصدة إلى انجلترا . . وقطعت الأيام الأولى من رحلتها فى هدوء وسلام . . حتى إذا ما حلّ اليوم السابع اجتازت خط الاستواء ، وأعلن لهذه المناسبة أن حفلة ساهرة ستقام فى قاعة الرقص فى المساء . . وكانت نجمة هذه الحفلة ، بلا مراء ، راكبة جميلة تمتاز بقوام ممشوق وببشرة بيضاء ناضرة ، وبعينين شديدتى التأثير . . هى الممثلة المعروفة « إيلين جبسون » التى اشتهرت فى الوسط الفنى بجنوب أفريقيا باسم « جاى » ، والتى كانت تشق طريقها سريعاً إلى المجد بعد نجاحها الكبير فى الدور الأول بمسرحية « الولد الذهبى »

إذ أخذت ترقص فى مرح فى تلك الحفلة وتشيع بجمالها إحساساً طيباً بين نفوس المشاهدين والراقصين . . وحوالى منتصف الليل تقريباً وقع « الأوركستر » لحنه الأخير ، ورقصت « جاى » مع صديق تعرفت إليه بالباخرة هو « المستر فرانك هوبوود » الذى رافقها بعد ذلك إلى مقصورتها رقم ١٢٦ بالطابق الثانى وودعها قبيل الساعة الأولى من الصباح وعاد هو إلى مقصورته .

وفى منتصف الساعة الثامنة من صباح اليوم التالى طرقت « إيلين فيلد » ، العاملة المكلفة بالعناية بمسافرى الطابق الثانى بالباخرة ، باب المقصورة رقم ١٢٦ أكثر من مرة ، ولكن الآنسة « جيسون » لم تجب كالعادة على هذا الطرق . . ولشد ما كانت دهشة العاملة عند ما أدارت « الأكرة » فانفتح الباب . . فنظرت فى حذر إلى الداخل فلم تجد صاحبة المقصورة بها . . ولاحظت أن الفراش غير مرتب ، مما يدل على أن صاحبته غادرته بعد رقاد . . ولما أخذت فى ترتيب الملابس المتناثرة تبين لها أن « البيجامة الحريرية السوداء » وكذلك « رداء الليل الأصفر » ليسا بمكانهما ، فاعتقدت بأن صاحبتهما لابد أن ارتدتهما لتقوم بنزهة فى الصباح المبكر على سطح الباخرة — ولو أن ذلك لم يكن من عادتها — وخطر ببالها أيضاً أنها ربما تكون قد قصدت إلى إحدى المقصورات الأخرى كما يحدث فى بعض الأحايين !

على أنها قامت بترتيب الفراش فى سرعة ، إذ كان عليها أن تقوم بأعمال مماثلة فى مقصورات أخرى ، ولكن هذه السرعة خفت حدتها عند ما لاحظت العاملة أن بقعاً من الدماء متناثرة بوضوح على وسادة الفراش . . فخفت فى الحال إلى رئيس الخدم الذى أبلغ الأمر بدوره إلى قائد الباخرة « الكابتن » بعد ما فشل فى الاهتداء إلى مقر الآنسة « جبسون » فى مختلف أنحاء الباخرة ! .

وما أن سمع الكابتن « باتاى » بتفاصيل بلاغ رئيس الخدم حتى أيقن أن الأمر يحتاج إلى اهتمام خاص ، فكلف كبار معاونيه بإعادة البحث فى الباخرة سريعاً عن الآنسة « جبسون » ، ولما لم تصل إليه نتيجة بعد دقائق أعلن فى المذياع الرسالة التالية التى أردفها بإصدار الأمر بتوقف الباخرة عن المسير :

« انتبهوا . . انتبهوا . . هذا النداء موجه إلى جميع الركاب وعمال الباخرة على اختلاف درجاتهم . . يهم القائد أن يطمئن إلى سلامة إحدى الراكبات وهى الآنسة « جبسون » ، فالمرجو منكم الاتصال بالقيادة للإدلاء بأى معلومات عنها ، وعن سلامتها » .

ومرت خمس دقائق دون أن يصل إلى سمع القائد أى نبأ على الإطلاق عن الراكبة المختفية . . وبالرغم من أن ضباط الباخرة أخذوا يرقبون البحر حولها بمناظيرهم فإن أثر لحادث أو نحوه لم يتبين . .

كما أنهم كانوا فى يأس من هذه الناحية . . إذ لو كانت الراكبة المختفية قد ألقت بنفسها أو ألقيت فى اليم ، فإن المكان الذى وقفت به الباخرة اشتهر بأنه مأوى الحيتان الضخمة الجبارة .

أعاد القائد التنبيه فى المذياع أكثر من مرة . . ولكن لم يكن حظه فى هذه المرات أكثر من حظه فى المرة الأولى . . فأيقن أنه لابد من تحقيق سريع عن الحادث . . فاستدعى من عرفوا باتصالهم واختلاطهم بالآنسة « جبسون » فى رحلتها ، وعلى الأخص المستر « فرانك هووبود » الذى كان آخر من راقصها فى المساء . . فقرر هذا أنه ودعها قبيل الساعة الواحدة فى أحسن حال . . وأنه يستبعد أن تكون الممثلة الفاتنة الشابة قد عمدت إلى الانتحار عندئذ ، إذ لم تكن حالتها توحى بذلك إطلاقا .

ولما سئل عمال الباخرة وخدمها قرروا بأنهم لم يشاهدوا الآنسة « جبسون » بعد منتصف الليل ، إلا واحداً منهم فقد قرر أنه حوالى الساعة الواحدة شاهد الراكبة المذكورة وهى متكئة إلى سور الباخرة متطلعة إلى المحيط ، وعلى بعد قليل منها أحد عمال الباخرة « جيمس كامب » . . كما قرر بأنه لاحظ أنهما كانا يتحدثان فى دعابة واضحة .

وقد سئل « جيمس كامب » هذا — وهو فتى وسيم يقارب الثلاثين من العمر فاعترف بالواقعة ، ولكنه قرر بأنه لم يشاهد الآنسة « جبسون »

بعد ذلك . . كما وأن مداعبتها له كانت نتيجة لروحها الطيبة معه ومع غيره من العمال لا أكثر ولا أقل .

وبعد ساعة تقريباً فوجىء قائد الباخرة بالضابط الثانى لها « كونواى » وهو يتقدم إليه بأمر عجيب . . إذ قرر بأنه ترك عمله بغرفة القيادة حوالى الساعة الرابعة صباحاً وأنه لم يستيقظ إلا الآن . . لما علم بأمر اختفاء الآنسة « جبسون » تذكر أنه عندما كان يقوم بنوبته فى الساعة الثالثة صباحاً حضر إليه كبير حراس الباخرة الليليين « جيمس موراى » وأبلغه بأن صاحبة المقصورة رقم ١٢٦ دقت قبيل ذلك الجرس الخاص بنداء عامل الطابق الثانى للباخرة أو عاملتها . . ولما كانا غير موجودين فقد قصد الحارس الليلى « فرانك ستير » إلى مقصورتها تلبية لهذا النداء ، وما أن طرق الباب وأدار (الأكرة) حتى وجد مقاومة من الداخل . . ولمح فى الفجوة التى انفرج عنها الباب يد رجل ، كما سمع صوت هذا الرجل وهو يقول : « لا بأس — إن كل شىء على ما يرام » . فاضطر أن يعود من حيث أتى ، إذ اعتقد أن صاحب هذا الصوت لابد وأن يكون على صلة ما بصاحبة المقصورة . . ولكنه أبلغ الأمر إلى رئيسه الذى أبلغه بدوره إليه — أى إلى الضابط « كونواى » — فقصد ، زيادة فى الحيطة والتأكد ، إلى المقصورة رقم ١٢٦ فوجد أنها مضاءة ولم يجد صاحبتها بها . . ولكن لم يخطر بباله أنها

اختفت من الباخرة إطلاقاً بل اعتقد أنها ربما قصدت مع صديقها الرجل إلى مقصورته !!

وكان مما قرره « جيمس موراى » أيضاً ، أن كبير الحراس الليليين ومرؤوسه الحارس الذى أجاب على الجرس ، جعلاه يعتقد بأن صاحب الصوت المنبعث من داخل المقصورة إنما كان أحد الركاب . . .

أخذ القائد فى استئناف التحقيق على ضوء هذه الوقائع الجديدة ، وما أن نادى فى هذه المرة « جيمس موراى » رئيس الحراس الليليين ومرؤوسه « فرانك ستير » ، وما أن أفهمهما بأن فى الأمر خطورة كبيرة بعد أن ثبت اختفاء الآنسة « جبسون » كلية . قال « موراى » :

ــ تقول أن الأمر خطير ياسيدى . . إنى لم أكن أتوقع ذلك . . إنى أعرف ذلك الرجل الذى رأى « ستير » يده عندما حاول دخول المقصورة رقم ١٢٦ . . ولقد حاولت أن أتستر عليه إذ أنه من عمال الباخرة ، خشية أن يفقد عمله ، ولكنى لم أكن أظن أن الأمر خطير على ما تبين الآن . . إنه عامل الطابق الثانى للباخرة « جيمس كامب » .

ولقد أمن « ستير » على كلام رئيسه ، وأضاف بأن « كامب » كان يرتدى ، حلة زرقاء وأنه الذى أجابه بنفسه عندما حاول فتح الباب على أثر إجابة نداء الجرس .

استدعى القائد على الأثر « جيمس كامب » وسأله دون أن يشعره

« جاي جيسون »

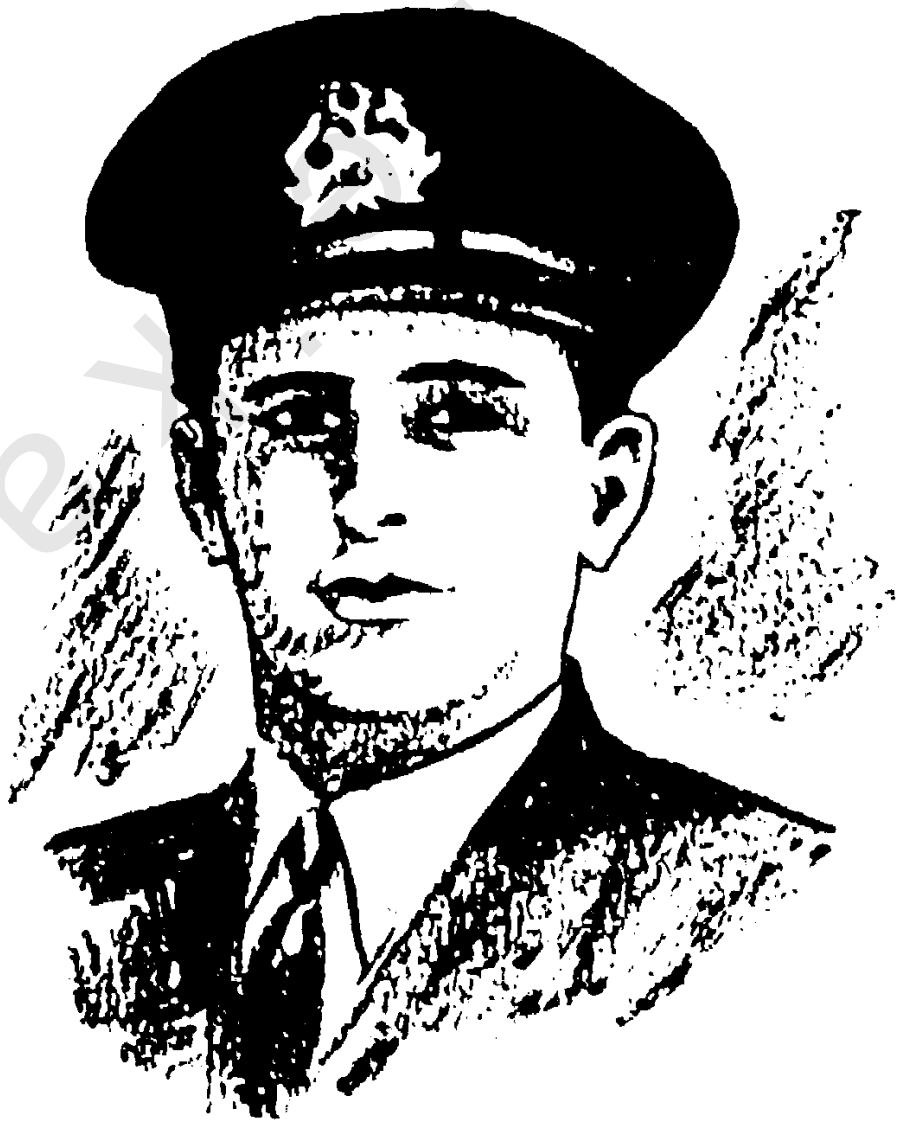

« جيمس كامب »

بخطورة الأمر عن معلوماته ، ولكن هذا أورى بألا معلومات لديه أكثر مما سبق وأبداه .. على أن القائد لاحظ بيديه وحول عنقه خدوشا بسيطة وغير واضحة ، فأحاله إلى طبيب المركب الذى قرر بأن هذه الخدوش نتيجة « خربشة » أظافر رقيقة ، الأمر الذى لم يقبله « كامب » وادعى بأنه نتيجة حك جلده لالتهاب به .

وضع « كامب » تحت المراقبة ، وحذر على زميليه « موراى » و « ستير » أن يفضيا إليه بشىء مما أبلغاه للقائد عنه ، كما جعله القائد يعتقد بأن لا شبهة موجهة إليه .. ولكن يظهر أن « كامب » كان يشك فى أمر نفسه ، إذ بعث برسالة إلى القائد يستوضحه أمر توقيع الكشف الطبى عليه ! !

وصلت الباخرة « دربان كاسل » إلى ميناء « سوتهمبتون » بانجلترا فى صباح يوم ٢٥ أكتوبر ، وكان أمر الحادث قد أبلغ إلى البوليس الإنجليزى باللاسلكى ، ولهذا فقد كان رجال مباحث الميناء أول من صعدوا إلى الباخرة قبل رسوها ، وما لبثوا أن عاينوا المقصورة رقم ١٢٦ وشرعوا فى تحقيق الأمر .. فلما جاء دور « جيمس كامب » أصر على إنكار علاقته بها .. فضيق المحققون عليه الخناق ، ولكنه استمر فى عناده وإصراره ، فلم يجدوا بداً من أن يشيروا إليه بما أبلغه

« فرانك موراى » رئيس الحراس الليليين ومرؤوسه « فرانك ستير » إلى قائد الباخرة . فبهت ووجم ؛ ولم يلبث أن هز كتفيه وقال :

« حسناً . . إذن فما علىّ إلا أن أقدم تقريراً بالحادث » .

وطبقاً للنظام الإنجليزى كتب « جيمس كامب » تقريراً وقعه بإمضائه قال فيه إن « جاى جبسون » كانت ترمقه بعين الإعجاب والتقدير منذ حلّت بالباخرة . . وأنه اعتاد أن يحمل إليها ليلا بمقصورتها الخاصة بعض المشروبات لتعاونها على الرقاد إذ كثيراً ما شكت إليه بأنها حامل وبأن الرجل الذى تحبه والذى كان قد وعدها بالزواج غرر بها . . كما قرر فى اعترافه بأنه قصد فى ليلة الحادث إلى مقصورتها بناء على طلبها . . فتبين له أنها كانت تريده لغرض جنسى خاص . . وبينما كان يقوم بهذا الغرض . . إذ بها تصاب فجأة بتشنج عصبى فتصتك أسنانها ، ويرتعد جسمها ، وتصاب بإغماء مفاجىء . . فحاول جاهداً أن يفيقها من إغمائها ، ولكن دون جدوى ، وبعد دقائق اكتشف مع الأسف أنها فارقت الحياة ، فحار فى أمر نفسه ، ولم يدر كيف يتصرف ، وخشى أن يفتضح أمره فيفقد عمله وتضيع سمعته إلى الأبد ، فتصرف فى أنانية ، إذ فتح نافذة المقصورة ودفع بالآنسة « جبسون » إلى المحيط بعد أن كانت قد أضحت جثة هامدة .

وقد كان هذا الاعتراف سبباً فى محاكمة « جيمس كامب » أمام

محكمة جنايات « هانتس » بانجلترا فى ١٨ مارس عام ١٩٤٨ بعد أن اتهمته النيابة بأنه إنما قتل الآنسة « جبسون » على أثر مقاومتها له عندما حاول ارتكاب الفحشاء معها . . .

ترأس القاضى « هلبرى » المحكمة ، ومثل الدفاع محام من أقدر محامى انجلترا المستر « ج . د . كاسول » ومثل الإتهام المستر « ج . د . روبرتس » وهو أحد الذين قاموا بالاتهام فى أثناء محاكمة زعماء النازى بنورمبرج باعتبارهم مجرمى الحرب الأخيرة . . . وراعت المحكمة ألا تبخل فى الصرف على استحضار الشهود المختلفين سواء للإثبات أو للدفاع من جنوب أفريقيا ، وكان هذا هو السبب فى تأخير المحاكمة عدة شهور .

ومنذ اللحظة الأولى لافتتاح المحاكمة وضح أن نقطة الخلاف بين الاتهام والدفاع تنحصر فيما إذا كان « چيمس كامب » قد ألقى بالآنسة « جبسون » إلى المحيط وهى جثة هامدة دون اعتداء منه عليها ، أو أنها قاومته فقتلها ثم ألقى بجثتها بعد ذلك .

وأعاد « چيمس كامب » أمام المحكمة ما سبق أن قرره فى اعترافه ، وأضاف أنه أنكر الواقعة عند ما سئل من قائد المركب عقب اكتشافها لأنه كان يريد أن يفهم بأن الآنسة « جبسون » انتحرت . . كما وأن رائده فى كل ذلك كان الرغبة فى الخلاص من المسئولية كعامل بالمركب وهو رجل متزوج ووالد فتاة صغيرة .

واستقدم الدفاع الدكتور « هوكنج » وهو من الإخصائيين فى مستشفى « كورنوال » الملكى . . فشهد بأنه ، بعد أن سمع التفاصيل ، يعتقد بصحة رواية « كامب » وبأن الآنسة « جبسون » لقت حتفها أولا نتيجة هبوط فى القلب ، وأنه لذلك يعتقد أن الناحية الطبية تؤيد براءة المتهم . كما قرر الدكتور « دونالدتين » من كبار أطباء لندن أنه يمكن لفتاة أن تموت فى أثناء مباشرة العملية الجنسية . كما شهد البروفسور « چيمس وبستر » مدير معمل الأبحاث ببرمنجهام بأنه لا يستبعد أن تكون الآنسة « جبسون » قد لقت نهايتها فى أثناء مباشرة المتهم للعملية الجنسية معها وأنه شخصياً يعرف ثلاثة حالات ماتت فيها سيدات فى أثناء القيام بهذه العملية نتيجة لانفجار شريانى أو هبوط فى القلب .

دعا الدفاع شهوداً عديدين آخرين من الأطباء وغيرهم ليدلل على صحة ما قاله المتهم ، وكان من بين الشهود صديقات للفتاة المختفية قررن بأنها كانت تصاب فى كثير من الأحوال بحالات عصبية طارئة وبإغماء فجائى ، كما قرر « مايك آپل » من جنوب أفريقيا بأنه تعرّف إلى الآنسة « جبسون » فى خلال عام ١٩٤٧ وفى أثناء قيامها بالدور الأول فى مسرحية « الولد الذهبى » وأنها كثيراً ما شكت إليه اعتلال صحتها . . واستطرد فقال بأنها تقدمت إليه ذات مرة فى أثناء « البروفة » و بته

فى ذقنه وصفعته . ثم قبلته على الفور وقالت له بأنها تحبه . . وفى مرة أخرى وبينما كان يصطحبها إلى منزلها قبلته واعترفت له بحبها ، فلما أبان لها خطورة الأمر نظراً لزواجه أغمى عليها وأصيبت بحالة عصبية .

أما المستر « هنرى چلبرت » مدير المسرح الذى كانت تعمل به فقد قال بأنه يعتقد بمرضها وأسف لقتلها ، وقال إنها كانت صاحبة أجمل بشرة بيضاء فى العالم ! !

وبالرغم من شهادة كل هؤلاء الشهود فقد أصر الاتهام على رأيه ، وكانت بيده ورقتان رابحتان على ما يبدو : الأولى خاصة بالأردية التى كانت تلبسها المتهمة والتى لم توجد ضمن متاعها التى خلفتها ، والثانية خاصة بدق الجرس للعامل والعاملة فى أثناء ليلة الحادث المشئوم .

أما عن الملابس : فلو أن القتيلة كانت قد دعت المتهم لمباشرة حالة جنسية معها فلا ريب أنها ما كانت لتضع على جسدها « البيجامة السوداء » والرداء الليلى الأصفر معاً ، وهذه الملابس اختفت من حجرتها تماماً مما يدل على أنها اختفت باختفاء القتيلة . . !

وأما عن الجرس الليلى : فإن « جيمس كامب » لم يدل بأى تفسير له أو بيان عنه سوى بقوله أنه قد يكون هو قد استعمله فى حالة اضطرابه وجزعه على أثر تأكده من موت الآنسة « جبسون » .

تصارعت الآراء بين الاتهام والدفاع طوال خمسة أيام أمام أنظار

القاضى « هلبرى » والإحدى عشر محلفاً ومحلفة ، وسط اهتمام انجلترا بل العالم بأسره . ولم يبق بعد ذلك إلا ما يقوله القاضى حتى يصدر الحكم سواء بالإدانة أو بالبراءة ولا ثالث لهما .

وقد لخص القاضى ، وهو جالس فى أرستقراطية رفيعة فى مقعده الفاخر ، القضية تلخيصاً وافياً ـ وإن كان قاسياً ـ دون أن تنفرج أسارير وجهه عن ابتسامة واحدة كيما تفسر عن رضائه عن المتهم أو عطفه عليه فى خلال المدة الطويلة التى قام فى أثنائها بهذا التلخيص . . وكان مما قاله :

عندما رقصت « جاى جبسون » فى مساء يوم الحادث المشئوم كانت شابة سعيدة مملوءة بالأمل . . ولكن قبل أن تحل الساعة الثالثة صباحاً فارقت الحياة والدنيا التى كانت تبتسم لها بعد أن حزمت وألقيت فى قسوة من نافذة مقصورتها إلى المحيط . . . ولا ريب أن أول ما يتبادر إلى الذهن أن هذه الطريقة التى اتبعت نحو جثتها إنما كانت بغرض إخفاء أمر آخر . . والسؤال الذى يتردد على اللسان فى الحال بعد ذلك هو : ما هو هذا الأمر الذى دعا لذلك ؟

إن على المحلفين أن يقرروا الآن عمن يكون قد دق الجرس الليلى ولماذا ؟ . . فإذا كانت الآنسة « جبسون » هى التى فعلت ذلك فما السبب ؟

يقول المتهم دفاعاً عن نفسه أن الضحية الشابة كانت تستقبله ،

ثم دعته إلى غرض جنسى بمحض رضائها ، فإذا كان هذا صحيحاً فما الذى يدعو إلى دق الجرس سواء منه أو منها . وإذا كانت قد لقت حتفها بين يديه ، كما يدعى ، فما الذى يدعوه إلى دق الجرس ... ألا تعتقدوا أن الأقرب إلى المنطق أن تكون هى التى دقت هذه الأجراس مستغيثة عندما فاجأها هذا المتهم وحاول ارتكاب الفحشاء معها .

لقد ثبت أنها كانت ترتدى البيجاما والرداء ، وأن هذه الملابس اختفت باختفائها . فهل تعتقدوا فى سهولة ، أنها تموت فى أثناء العملية الجنسية وهى مرتدية هذه الملابس ؟

وما هو سبب الخدوش التى وجدت فى عنق المتهم ... وهذه النقط من الدماء التى وجدت على الفراش ؟ ألا يوحى كل ذلك أن شجاراً عنيفاً قد نشب بينه وبينها . . وهل هذا الشجار الذى يحتمل أن يكون قد نشب يؤيد ما قاله المتهم من أن القتيلة استقبلته ودعته إلى الرقاد معها .

لقد قال بأنه عند ما دلف إلى مقصورتها واستقبلته ودعته إلى أحضانها كانت ترتدى الرداء الليلى ولا شىء غير ذلك تحته ، فأين إذن هذه البيجاما التى اختفت ، والتى أيدت عاملة الطابق الثانى « المس فيلد » بأن القتيلة كانت ترتديها باستمرار ...

ألا يدل كل ذلك على أن المتهم كاذب فيما ادعاه .

إن عليكم أن تقرروا عما إذا كانت هذه الأكاذيب تؤيد أو لا تؤيد دفاع المتهم من أنه ارتكب الفحشاء مع الفتاة المختفية ، وإذا كان من رأيكم أنه صادق فيما ادعاه ، فإن مسائل هامة تبقى دون شرح أو تسبيب وهى : اختفاء البيجاما ، ودق الأجراس ، وغير ذلك من شهادة الشهود الذين رأوا المتهم فى حالة مريبة .

ولقد كان هذا التلخيص ، كما قلنا ، سبباً من الأسباب التى أمالت المحلفين إلى جانب الإدانة بالرغم من أن جسم الجريمة وهو جثة « جاى جبسون » لم يوجد على الإطلاق . وقد اشتهر القضاء الإنجليزى بدوام الإعتماد على الأدلة المادية المحسوسة ... بل إن محاكمة « كامب » بتهمة قتل فى المحيط لا نظير لها فى تاريخ هذا القضاء منذ عام ١٨٧٥ عندما اتهم بحار بإحدى مراكب الصيد بدفعه رئيسه إلى اليم لتأكله الحيتان لضغائن بينهما دون أن يشاهده أحد وهو يقوم بهذه الفعلة التى نسبت إليه . ولقد حوكم هذا البحار بتهمة القتل العادية لا تهمة القتل العمد التى لا جزاء لها إلا الإعدام وحكم عليه فعلا بالسجن المؤبد .

ومهما يكن من أمر فقد صدر حكم الإعدام على « كامب » وأفلت من هذا الحكم إفلاتاً لم يكن متوقعاً ، وفى كل أدوار محاكمته كان ولا يزال ينكر اعتداءه على الفتاة أو ارتكابه أى أمر معها دون رضاها . .

فهل يمكن الجزم بما دار بينه وبينها فى المقصورة رقم ١٢٦ فى تلك الليلة المشئومة ؟

لقد أدان القضاء المتهم بعد أن جزم باعتدائه على الممثلة الشابة ... ووقفت الآلاف ، بل الملايين ، من ناحية أخرى تعلن فى صراحة براءة هذا المتهم من دم بنت جنسه . . فما هى الحقيقة ؟

إن هذه القضية ستظل كغيرها من القضايا الأخرى حائرة ومحيرة معاً . . وسيبقى العلم الصحيح فيها عند علام الغيوب ...